# مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

**www.menhag-un.com**

## يُقَدِّمُ:

## (الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة)

## مِنْ مَادَّةِ

# سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

# [الْعَهْد الْمَكِّي]

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

## دِرَاسَةُ السِّيرَةِ وَأَهَمِيَّتُهَا لِفَهْمِ الْقُرْآنِ

وَالسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَبْلَهُ مُرْتَبِطَةٌ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، وَدِرَاسَةُ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ تُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَهْمًا صَحِيحًا.

الَّذِي يَدْرُسُ سِيرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَجِدُ فِيهَا مَا يُعِينُهُ عَلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَذَوُّقِ رُوحِهِ وَمَقَاصِدِهِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تُفَسِّرُهَا وَتُوَضِّحُهَا الْأَحْدَاثُ الَّتِي مَرَّتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمَوْقِفُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ.

www.menhag-un.com

## أَسَالِيبُ عَرْضِ الْقُرْآنِ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ لِفَهْمِ الْمَلَامِحِ الْعَامَّةِ لِحَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ عَرَضَ الْقُرْآنُ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِأَحَدِ أُسْلُوبَيْنِ:

**الْأَوَّلُ**: سَرْدُ بَعْضِ الْمَشَاهِدِ مِنْ حَيَاتِهِ وَسِيرَتِهِ ﷺ.

**وَالثَّانِي**: التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي تَعْرِضُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

**أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُسْلُوبِ الْأَوَّلِ: فَإِنَّنَا نَجِدُ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ يَتَنَاوَلُ جَوَانِبَ مِنْ حَيَاتِهِ وَسِيرَتِهِ**، وَذَلِكَ كَالْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي وَصْفِ مَرَاحِلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ آيَاتُ الْعِتَابِ الَّتِي تُبَيِّنُ جُزْءًا مُهِمًّا مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ.

كَمَا وَرَدَتْ آيَاتٌ تَتَحَدَّثُ عَنِ اسْتِمَاعِ نَفَرٍ مِنَ الْجِنِّ لِرَسُولِ ﷺ، وَتَحَدَّثَتْ آيَاتٌ أُخْرَىٰ عَنْ مُعْجِزَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَعَرَضَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ كَذَلِكَ لِهِجْرَتِهِ حِينَمَا تَآمَرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ قَتْلِهِ.

وَقَدْ وَصَفَ الْقُرْآنُ بَعْضَ غَزَوَاتِهِ كَغَزْوَةِ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَحُنَيْنٍ الَّتِي كَانَتْ دَرْسًا فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَقَانُونِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ مِنْ نَوْعِ ذَلِكَ الدَّرْسِ الَّذِي كَرَّسَتْهُ غَزْوَةُ بَدْرٍ، بَلْ هُوَ مُتَمِّمٌ لَهَا؛ فَإِذَا كَانَتْ مَوْقِعَةُ بَدْرٍ قَرَّرَتْ لِلْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْقِلَّةَ لَا تَضُرُّهُمْ شَيْئًا فِي جَنْبِ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ إِذَا كَانُوا صَابِرِينَ

وَمُتَّقِينَ؛ فَإِنَّ غَزْوَةَ حُنَيْنٍ قَدْ قَرَّرَتْ لِلْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْكَثْرَةَ -أَيْضًا- لَا تُفِيدُهُمْ شَيْئًا إِذَا لَمْ يَكُونُوا صَابِرِينَ وَمُتَّقِينَ.

وَكَمَا نَزَلَتْ آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي تَقْرِيرِ الْعِبْرَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ؛ فَقَدْ نَزَلَتْ آيَاتٌ مِنْهُ -أَيْضًا- فِي تَقْرِيرِ الْعِبْرَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُؤْخَذَ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْعِظَةَ الْبَلِيغَةَ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

كَمَا تَنَاوَلَتْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ قِصَّةَ زَوَاجِهِ ﷺ مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ هَذَا الْجَانِبَ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

**أَمَّا الْأُسْلُوبُ الثَّانِي الَّذِي عَرَضَ بِهِ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ سِيرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَهُوَ التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ**: وَذَلِكَ لِلْإِجَابَةِ عَلَىٰ مَا قَدِ اسْتُشْكِلَ مِنْ

شَأْنِهَا أَوْ لِكَشْفِ بَعْضِ الْغَوَامِضِ مِنْهَا أَوْ لِلَفْتِ نَظَرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ وَجْهِ الْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ فِيهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَرْتَبِطُ بِجَانِبٍ مَا مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ أَوْ شَأْنٍ مِنْ شُئُونِهِ، فَهِيَ بِذَلِكَ تُجَلِّي لَنَا الْكَثِيرَ مِنْ مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ وَمُخْتَلَفِ شُئُونِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

قِصَّةُ الْإِفْكِ وَمَا فِيهَا مِنْ دُرُوسٍ وَعِظَاتٍ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَشْرَ آيَاتٍ بِبَرَاءَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَإِدَانَةِ الْمُنَافِقِينَ وَالْخَاطِئِينَ.

قَالَ اللهُ -جَلَّ شَأْنُهُ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ١١-٢٠].

وَكَحَادِثَةِ الظِّهَارِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا قَوْلُ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ...﴾ الْآيَةَ، إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١-٤].

وَاسْمُ هَذِهِ الْمُجَادِلَةِ، وَنِسْبَتُهَا، وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ آرَاءٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ.

وَكَسُورَةِ التَّحْرِيمِ الَّتِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١] الْآيَاتِ، واخْتُلِفَ أَيْضًا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ.

كَمَا تَوَلَّىٰ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْإِجَابَةَ عَنِ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي كَانَتْ تُوَجَّهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ ذَلِكَ: الْأَسْئِلَةُ الَّتِي كَانَ يَطْرَحُهَا بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ كَسُؤَالِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ.

وَلَقَدْ أَجَابَ اللهُ ﷻ عَنْ سُؤَالِهِمْ هَذَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الَّتِي نَزَلَتْ تَتَحَدَّثُ عَنْ جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ وَمُتَعَدِّدَةٍ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

**فَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ**: أَنَّ الْفَهْمَ الصَّحِيحَ لِجَانِبٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خِلَالِ الدِّرَاسَةِ الْمُتَأَنِّيَةِ وَالْفَاحِصَةِ لِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْوُقُوفِ عَلَىٰ حِكَمِهَا الْبَالِغَةِ وَأَسْرَارِهَا الدَّقِيقَةِ؛ وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ تَنَاوَلَ الْمَلَامِحَ الْعَامَّةَ لِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَحَدَّثَ عَنْهَا مِنْ خِلَالِ أُسْلُوبَيْنِ:

**الْأَوَّلُ**: تَنَاوَلَ بَعْضَ الْمَشَاهِدِ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَسِيرَتِهِ، وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي وَصْفِ غَزَوَاتِهِ، وَحَيَاتِهِ مَعَ أَزْوَاجِهِ رضي الله عنهن وَمُعَامَلَتِهِ لِأَصْحَابِهِ، وَأُسْلُوبِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ.

**الثَّانِي**: تَوَلَّىٰ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ التَّعْلِيقَ عَلَىٰ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ مِنْ خِلَالِ الْإِجَابَةِ عَلَىٰ مَا قَدْ يُشْكِلُ، وَكَشْفِ الْغَوَامِضِ الَّتِي تُحِيطُ بِالْأَحْدَاثِ، وَلَفْتِ نَظَرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَا فِيهَا مِنْ عِبْرَةٍ مَوْعِظَةٍ.

وَأَمَّا حَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَأْتِي بِإِيجَازٍ، هُوَ لَا يَتَعَدَّىٰ بَيَانَ الْمَلَامِحِ الْعَامَّةِ، وَالْعَرْضَ الْإِجْمَالِيَّ السَّرِيعَ لِلْوَقَائِعِ وَالْأَخْبَارِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

# أَهَمِيَّةُ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَمَعْرِفَةِ مَرَاحِلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

**لِدِرَاسَةِ سِيرَةِ نَبِيِّنَا ﷺ أَهَمِّيَّةٌ كُبْرَىٰ فِي نَوَاحٍ شَتَّىٰ، مِنْهَا:**

* **مَا يَتَعَلَّقُ بِمَنْهَجِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ**، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ مَا مَرَّتْ بِهِ الدَّعْوَةُ مِنْ مَرَاحِلَ؛ فَفِي مَكَّةَ كَانَتِ الدَّعْوَةُ مُتَمَثِّلَةً فِي دَعْوَةِ الْأَقَارِبِ مِنْ زَوْجَةٍ وَأَبْنَاءٍ، وَمَنْ وَضَعَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ تَحْتَ يَدِهِ فِي بَادِئِ ذِي بَدْءٍ؛ وَلِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١- ٢]، بَدَأَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَسْلَمَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بَلْ كَانَتْ أَوَّلَ النِّسَاءِ إِسْلَامًا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، ثُمَّ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَهَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَإِذَا أَصْلَحَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ انْتَقَلَ إِلَىٰ الْمَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ، وَهِيَ إِنْذَارُ الْعَشِيرَةِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ شَأْنُهُ- لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فَنَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَعِدَ الصَّفَا، وَنَادَىٰ: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**...»، الْحَدِيثَ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَهَذَا التَّدَرُّجُ فِي مَرَاحِلِ الدَّعْوَةِ مَنْطِقِيٌّ جِدًّا يَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَهُ؛ فَقَدِ اسْتَمَرَّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ لِقُرَيْشٍ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا إِلَىٰ أَيِ بَلَدٍ حَتَّىٰ أَكْمَلَ عَشْرَ سِنِينَ مُوَاصِلًا دَعْوَتَهُ لِهَذَا الدِّينِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ دُونَ كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ.

بَعْدَ ذَلِكَ انْتَقَلَ إِلَىٰ قَبِيلَةٍ أُخْرَىٰ تُعَدُّ مِنْ أَقْرَبِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ لِقُرَيْشٍ نَسَبًا وَصِهْرًا وَجِوَارًا، وَهِيَ قَبِيلَةُ «ثَقِيفٍ» فِي الطَّائِفِ الَّتِي ضَرَبَ الرَّسُولُ ﷺ فِي دَعْوَتِهِمْ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ لِبَذْلِ الْجُهْدِ وَتَحَمُّلِ الْأَذَىٰ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ.

انْتَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، إِلَّا أَنَّ دَعْوَتَهُ ﷺ قُوبِلَتْ بِرَفْضٍ شَدِيدٍ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ؛ فَأَصَابَهُ ﷺ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ؛ جَرَّاءَ رَفْضِهِمْ لِدَعْوَتِهِ ﷺ.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَعْدَ أَنْ فُرِضَ الْجِهَادُ بَدَأَ ﷺ يُرْسِلُ السَّرَايَا وَالْبُعُوثَ إِلَىٰ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ لِنَشْرِ الْإِسْلَامِ تَارَةً، وَيَخْرُجُ هُوَ بِنَفْسِهِ ﷺ تَارَةً أُخْرَىٰ، وَلَمْ يَنْتَقِلْ إِلَىٰ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ حَتَّىٰ عَمَّ الْإِسْلَامُ الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ كَافَّةً، بَلْ وَكَانَ قَدْ جَهَّزَ جَيْشًا لِغَزْوِ أَطْرَافِ الشَّامِ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ ﷺ بِقِيَادَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ تَمْهِيدًا لِفَتْحِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ لَكِنَّهُ ﷺ تُوُفِّيَ قَبْلَ إِنْفَاذِ هَذَا الْجَيْشِ.

ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَكْمَلَ الْمَسِيرَةَ، وَأَنْفَذَ جَيْشَ أُسَامَةَ الَّذِي عَقَدَ لِوَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ مُعَارَضَةِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ عِنْدَمَا أَشَارُوا عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُمْسِكَ بَعْثَ أُسَامَةَ؛ خَشْيَةَ أَنْ تَمِيلَ الْعَرَبُ بَعْدَ سَمَاعِهِمْ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ قَوْلَتَهُ الشَّهِيرَةَ: «أَنَا أَحْبِسُ جَيْشًا بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ! لَقَدِ اجْتَرَأْتُ عَلَىٰ أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ تَمِيلَ عَلَيَّ الْعَرَبُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَحْبِسَ جَيْشًا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، ثُمَّ أَمْضَاهُ.

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ عَالَمِيٌّ، وَلَابُدَّ أَنْ يَعُمَّ نَفْعُهُ أَرْجَاءَ الْمَعْمُورَةِ؛ قَالَ -جَلَّ شَأْنُهُ-: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»، وَلِأَنَّهُ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ قَالَ -جَلَّ شَأْنُهُ-: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَلِأَنَّ دِينَهُ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ ﴿**وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَهَكَذَا وَضَعَتِ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ مَنْهَجًا مُتَكَامِلًا لِلْمَرَاحِلِ الدَّعْوَيَّةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، وَانْطَلَقَتِ الْجَحَافِلُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَنْشُرُ الدِّينَ فِي رُبُوعِ الْمَعْمُورَةِ حَتَّىٰ بَلَغَ أَقَاصِيَ الدُّنْيَا شَرْقًا وَغَرْبًا؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَالَمِيَّةَ هَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ.

وَهَكَذَا وَضَعَ نَبِيُّنَا ﷺ مَنْهَجًا مُتكَامِلًا لِمَرَاحِلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ يُقَدِّمْ مَرْحَلَةً عَلَىٰ أُخْرَىٰ؛ فَالْعَامِلُونَ فِي الْمَجَالِ الدَّعَوِيِّ لَا يَسَعُهُمْ سِوَىٰ الِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

**◉ التَّرْكِيزُ عَلَى الْجَانِبِ الْعَقَدِيِّ فِي الدَّعْوَةِ، وَبَيَانُ أَثَرِهِ عَلَى الْمَدْعُوِّينَ:**

وَظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو إِلَّا إِلَىٰ التَّوْحِيدِ فَقَطْ، بَلْ كَانَ يَدْعُو إِلَىٰ صِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، إِلَّا أَنَّ تَرْكِيزَهُ ﷺ عَلَىٰ الْجَانِبِ الْعَقَدِيِّ كَانَ أَكْثَرَ.

وَالْحَقُّ أَنَّ التَّرْكِيزَ عَلَىٰ الْجَانِبِ الْعَقَدِيِّ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ فِي غَايَةٍ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ انْتَفَتْ جَمِيعُ الشَّوَائِبِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ زَعْزَعَةِ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ آتَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَكِّيَّةُ، وَتَرْكِيزُهُ عَلَىٰ الْجَانِبِ الْعَقَدِيِّ ثِمَارَهَا يَلْحَظُ مَنْ قَرَأَ تَارِيخَ حُرُوبِ الرِّدَّةِ الَّتِي أَعْقَبَتْ وَفَاةَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَا يَجِدُ أَحَدًا ارْتَدَّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَبَدًا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِرُسُوخِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ -رِضْوَانُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

*** وَعَنِ السِّيرَةِ تُعْرَفُ قَضِيَّةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ،** وَهِيَ نَاحِيَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، كَمَا أَنَّ مَعْرِفَةَ

نُزُولِ الْآيَاتِ وَأَسْبَابِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي بِمَعْرِفَتِهَا تُعْرَفُ أَحْدَاثُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ كَتِلْكَ الَّتِي نَزَلَتْ فِي غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

* **أَيْضًا هُنَاكَ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَتِهَا أَيُّ طَالِبِ عِلْمٍ فَضْلًا عَنِ الْعُلَمَاءِ**، وَذَلِكَ مِثْلُ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللهُ عَلَىٰ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَعْرِفَتُهَا تَزِيدُ -بِلَا شَكٍّ- فِي الْإِيمَانِ، وَكَذَا مَعْرِفَةُ مَا كَابَدَهُ ﷺ مِنْ مَشَاقٍّ فِي سَبِيلِ تَبْلِيغِ هَذَا الدِّينِ مَعَ مَا كَانَ مِنْ صَبْرِهِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ ذَلِكَ ﷺ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

## أَهْدَافُ وَمَقَاصِدُ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

**وَأَمَّا أَهْدَافُ وَمَقَاصِدُ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَمِنْهَا:**

* **مَعْرِفَةُ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الْمُتَعَبِّدِينَ**، وَذَلِكَ لِلْبَحْثِ فِيهَا عَنِ الْهَدْيِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَمَرْضَاةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ السِّيرَةَ مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ وَمَنْهَجٌ لِحَيَاةِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

وَلَابُدَّ أَنْ يُدْرِكَ النَّاظِرُ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَهَمِّيَّتَهَا التَّرْبَوِيَّةَ، وَالتَّشْرِيعِيَّةَ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةَ، وَالْإِدَارِيَّةَ، وَالسِّيَاسِيَّةَ؛ لِأَنَّهَا تَطْبِيقٌ عَمَلِيٌّ لِنُصُوصِ الْوَحْيِ فِي مَنَاحِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كَافَّةً.

**وَمِنْ أَهْدَافِ وَمَقَاصِدِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

* **تَحْصِيلُ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ**؛ فَالسِّيرَةُ الْعَطِرَةُ مَلِيئَةٌ بِالدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ تَعَلَّمَهَا بِقَصْدِ الِاتِّبَاعِ لِصَاحِبِهَا ﷺ، وَالتَّرْبِيَةِ عَلَىٰ مَقَاصِدِهَا وَعِبَرِهَا؛ فَهِيَ مَادَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ سُلُوكِيَّةٌ تَبْنِي الشَّخْصِيَّةَ السَّوِيَّةَ الْمُتَكَامِلَةَ، وَتُقَوِّمُ السُّلُوكَ الْمُعْوَجَّ.

وَالْمَنَاهِجُ التَّرْبَوِيَّةُ وَالدَّعَوَاتُ الْإِصْلَاحِ يَجِبُ أَنْ تَقْتَبِسَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَتَلْتَزِمَ بِهِ اعْتِقَادًا وَسُلُوكًا وَمَنْهَجَ تَفْكِيرٍ، وَتَأْخُذَ مِنَ التَّجَارِبِ النَّاجِحَةِ مَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.

**وَمِنْ أَهْدَافِ وَمَقَاصِدِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

*** الِاطِّلَاعُ عَلَىٰ مَآثِرِ جِيلِ الصَّحَابَةِ، وَكَيْفَ تَحَقَّقَتْ لَهُمُ السِّيَادَةُ وَالرِّيَادَةُ؛** فَالسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ مَعِينٌ لَا يَنْضَبُ وَتُرَاثٌ لَا يَبْلَىٰ لِكُلِّ مَنْ رَجَعَ إِلَيْهَا، وَتَأَدَّبَ بِأَدَبِهَا، وَاقْتَبَسَ مِنْ مِشْكَاتِهَا.

وَقَدْ فَقُهَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم هَذِهِ الْمَعَانِيَ فِي السِّيرَةِ وَأَدْرَكُوا أَهَمِيَّتَهَا، فَكَانَتْ مَعَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مَنْهَجَ التَّرْبِيَةِ لِلْأَجْيَالِ، وَمَادَّةَ الْبِنَاءِ الْفِكْرِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ، وَمَحَطَّ الِاهْتِمَامِ وَالْعِنَايَةِ.

**قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ:** «كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ».

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يُحَفِّظُ أَبْنَاءَهُ مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعُدُّهَا عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ؛ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا».

وَقَدْ تَحَقَّقَتِ السِّيَادَةُ وَالرِّيَادَةُ لِلْجِيلِ الْأَوَّلِ عِنْدَمَا صَدَقَ فِي التَّأَسِّي وَالْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ؛ فَتَمَكَّنَ مِنَ التَّطْبِيقِ الْوَاقِعِيِّ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَمِنْ أَهْدَافِ وَمَقَاصِدِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:

*** تَحْصِيلُ الْقُدْوَةِ وَالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ؛** فَقَدْ جَعَلَ اللهُ فِي سِيرَتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ ﷺ تَنَوُّعًا وَشُمُولًا لِكُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ وَمَوَاقِفِهَا الْمُتَغَيِّرَةِ؛ لِتَكُونَ مِسَاحَةُ الِاقْتِدَاءِ وَالتَّأَسِّي وَاسِعَةً شَامِلَةً تَسْتَوْعِبُ الْقُدُرَاتِ الْبَشَرِيَّةَ كَافَّةً بِفُرُوقِهَا الْفَرْدِيَّةِ وَسَجَايَاهَا الْفِطْرِيَّةِ.

فَالرَّسُولُ ﷺ قُدْوَةٌ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ مُخْتَلَفِ عُصُورِهِمْ، وَتَعَدُّدِ مَوَاقِعِهِمُ الْجُغْرَافِيَّةِ، وَأَحْوَالِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ، وَمَرَاكِزِهِمُ الْإِدَارِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢١- ٢٢].

**قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ؛ لِهَذَا أُمِرَ النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ فِي صَبْرِهِ، وَمُصَابَرَتِهِ، وَمُرَابَطَتِهِ، وَمُجَاهَدَتِهِ، وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنَ اللهِ ﷻ؛ قَالَ تَعَالَىٰ لِلَّذِينَ تَقَلْقَلُوا، وَتَضَجَّرُوا، وَتَزَلْزَلُوا، وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أَيْ؛ هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِهِ وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷻ مُخْبِرًا عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِمَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ، وَجَعْلِهِ الْعَاقِبَةَ حَاصِلَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

وَالْمُرَادُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَتَادَةُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. أَيْ؛ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الِابْتِلَاءِ، وَالِاخْتِبَارِ، وَالِامْتِحَانِ الَّذِي يَعْقُبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ».

**وَمِنْ أَهْدَافِ وَمَقَاصِدِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

*** أَنَّ التَّكَامُلَ وَالشُّمُولَ فِيهَا يُؤَدِّي إِلَىٰ فَهْمِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَاحْتِرَامِ تِلْكَ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ؛** فَقَدْ يَسَّرَ اللهُ لِهَذِهِ السِّيرَةِ مَنْ يَقُومُ عَلَىٰ حِفْظِهَا، وَالْعِنَايَةِ بِأَدَقِّ تَفَاصِيلِهَا حَتَّىٰ كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَىٰ صَاحِبِهَا ﷺ وَأَحْوَالِهِ رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَالتَّارِيخُ شَاهِدٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا تُوجَدُ سِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا كَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وُضُوحِهَا، وَكَمَالِهَا، وَصِدْقِهَا، وَشُمُولِهَا، وَاسْتِيعَابِهَا.

**قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ النَّدَوِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ حَيَاةَ الْعَظِيمِ الَّذِي يَجْدُرُ بِالنَّاسِ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهَا قُدْوَةً لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَافَرَ فِيهَا أَرْبَعُ خِصَالٍ: أَنْ تَكُونَ تَارِيخِيَّةً، وَأَنْ تَكُونَ جَامِعَةً، وَأَنْ تَكُونَ كَامِلَةً، وَأَنْ تَكُونَ عَمَلِيَّةً».

**إِنَّ حَيَاةَ الْعَظِيمِ الَّذِي يَجْدُرُ بِالنَّاسِ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهَا قُدْوَةً لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَافَرَ فِيهَا أَرْبَعُ خِصَالٍ:**

- **أَنْ تَكُونَ تَارِيخِيَّةً؛** أَيْ: أَنَّ التَّارِيخَ الصَّحِيحَ الْمُمَحِّصَ يُصَدِّقُهَا، وَيَشْهَدُ لَهَا.

- **وَأَنْ تَكُونَ جَامِعَةً؛** أَيْ: مُحِيطَةً بِأَطْوَارِ الْحَيَاةِ وَمَنَاحِيهَا وَجَمِيعِ شُئُونِهَا.

- **وَأَنْ تَكُونَ كَامِلَةً؛** أَيْ: مُتَسَلْسِلَةً لَا يَنْقُصُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ حَلْقَاتِ الْحَيَاةِ لِذَلِكَ الْعَظِيمِ.

- **وَأَنْ تَكُونَ عَمَلِيَّةً**؛ أَيْ: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ الْفَضَائِلِ وَالْمَبَادِئِ وَالْوَاجِبَاتِ بِعَمَلِ الدَّاعِي، وَأَخْلَاقِهِ، لَا بِمُجَرَّدِ قَوْلِهِ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا دَعَا إِلَيْهِ بِلِسَانِهِ قَدْ حَقَّقَهُ بِعَمَلِهِ، وَسِيرَتِهِ، وَعَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالْعَائِلِيَّةِ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَبِهَذَا تَكُونُ أَعْمَالُهُ مُثُلًا عُلْيَا لِلنَّاسِ يَتَأَسَّوْنَ بِهَا.

ولَا تَجِدُ ذَلِكَ كَامِلًا شَامِلًا إِلَّا فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

**مِنْ أَهْدَافِ وَمَقَاصِدِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

* **أَنْ تُتَّخَذَ مَنْهَجًا مِعْيَارِيًّا**؛ فَالسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَوَادِثِ تَارِيخٍ تُؤْخَذُ مِنْهَا الْعِبَرُ وَالْعِظَاتُ فَحَسْبُ، إِنَّمَا هِيَ فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ تَجْسِيدٌ عَمَلِيٌّ لِلْوَحْيِ الَّذِي يُقْتَدَىٰ بِهِ، وَمَنْهَجٌ وَاضِحٌ يُهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ، وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يُسْلَكُ وَيُتَّبَعُ؛ لِأَنَّهَا مَنْهَجٌ مِعْيَارِيٌّ غَيْرُ خَاضِعٍ لِحُدُودِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَإِنَّمَا تُقَاسُ إِلَيْهِ الْأَعْمَالُ وَالْمَوَاقِفُ وَتُعَايَرُ عَلَيْهِ الِاجْتِهَادَاتُ وَالْآرَاءُ، وَتُوزَنُ بِمِيزَانِهِ الْحَقِّ.

فَلَا تُخْضَعُ السِّيرَةُ لِأَحْوَالِ الْبَشَرِ، وَلَا لِتَقَلُّبَاتِ الْعُصُورِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْضَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِسِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تُتَّخَذَ مَنْهَجًا مِعْيَارِيًّا يُعَايَرُ عَلَيْهِ جَمِيعُ الِاجْتِهَادَاتِ وَالْآرَاءِ، وَتُوزَنُ بِمِيزَانِهِ الْحَقِّ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ.

www.menhag-un.com

## ثَمَرَاتُ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَأَمَّا الثَّمَرَاتُ الَّتِي يَجْنِيهَا الدَّارِسُ مِنْ دِرَاسَتِهِ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَكَثِيرَةٌ وَاسِعَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ، مِنْهَا:

* **أَنَّكَ بِدِرَاسَتِكَ لِسِيرَةِ نَبِيِّكَ ﷺ تُحَقِّقُ شَطْرَ الشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ الرُّكْنُ الْأَعْظَمُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ**، وَذَلِكَ لِتَحْقِيقِ الْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ؛ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ بِأَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» تَسْتَلْزِمُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَهِيَ: تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

◉ **لَوَازِمُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ:**

**الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: تَصْدِيقُهُ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ** عَنِ اللهِ، وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَعَنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَعَنْ جَزَاءِ الْمُتَّقِينَ الْمُسْتَجِيبِينَ فِي جَنَّاتِ نَعِيمٍ، وَمَا فِيهَا مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، وَمَا وَصَفَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا ذَكَرَ فِيهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا ذَكَرَ عَنْ عُقُوبَةِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُعْرِضِينَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارٍ تَلَظَّىٰ، وَجَحِيمٍ مُقِيمٍ تَذُوبُ فِيهِ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَعَنِ الْحَوَادِثِ الْمُنْتَظَرَةِ، وَعَنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ.

تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ.

**وَطَاعَتُهُ ﷺ فِيمَا أَمَرَ**: بِالِاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِهِ، وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وَتَنْفِيذِ ذَلِكَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ بِمُخْتَلَفِ صُوَرِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، وَعَدَمِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَقْدِيرِهِ، وَالتَّحَاكُمِ إِلَىٰ شَرْعِهِ، وَالرِّضَا بِهِ، وَالتَّسْلِيمِ التَّامِّ لَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وَأَعْظَمُ مَا نُهِيَ عَنْهُ الشِّرْكُ بِكُلِّ صُوَرِهِ وَأَنْوَاعِهِ، فَهُوَ أَخْطَرُ الذُّنُوبِ وَأَعْظَمُهَا، وَهُوَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ ذَنْبٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟

قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ!**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ**؛ فَاجْتِنَابُ الْمَنَاهِيِّ وَالْمُحَرَّمَاتِ حَتْمٌ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَعَلَىٰ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ وِقَايَةً وَحِمًىٰ؛ حَتَّىٰ لَا يَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، **وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ وَمَنْهَجِهِ**؛ وَهَذَا أَصْلٌ فِي الْمُتَابَعَةِ وَالِاقْتِدَاءِ، وَضَابِطٌ فِي الْعِبَادَةِ الْمَشْرُوعَةِ، فَلَا يَزِيدُ الْعَبْدُ عَنِ الْمَشْرُوعِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ؛ يَتَّبِعُ وَلَا يَبْتَدِعُ.

قَالَ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. **أَيْ**: مَرْدُودٌ عَلَىٰ صَاحِبِهِ وَغَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ اللهِ، بَلْ يُعَاقَبُ فَاعِلُهُ وَلَا يُثَابُ؛ لِأَنَّهُ شَرَّعَ أَمْرًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِأَمْرٍ لَمْ يَشْرَعْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَابْتَدَعَ فِي الدِّينِ بِدْعَةً حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ حَسَنًا فَلَا يَكْفِي حُسْنُ النِّيَّاتِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ.

فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَيْسَتْ بِالْهَوَىٰ وَالرَّغْبَةِ وَالِاسْتِحْسَانِ الْعَقْلِيِّ؛ إِنَّمَا هِيَ بِالِاتِّبَاعِ لِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالِاسْتِمْسَاكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فَأَوَّلُ ثَمَرَةٍ تَجْنِيهَا مِنْ دِرَاسَةِ سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّكَ تُحَقِّقُ شَطْرَ الشَّهَادَةِ الَّتِي لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُسْلِمًا إِلَّا إِذَا أَتَىٰ بِهَا.

يَعْنِي لَنْ تُحَقِّقَ مَعْنَىٰ أَنْ تَشْهَدَ «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» إِلَّا إِذَا عَرَفْتَ رَسُولَ اللهِ، وَعَرَفْتَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِهِ، وَمَا نَهَىٰ عَنْهُ، وَأَعْظَمُ مَا يُعِينُكَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ سِيرَةَ نَبِيِّكَ ﷺ.

**وَأَيْضًا مِنْ ثَمَرَاتِ دِرَاسَةِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ:**

* **تَحْقِيقُ مَحَبَّةِ الْمُسْلِمِ لِرَبِّهِ ﷻ** الَّتِي عَلَّقَهَا اللهُ بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْوُقُوفِ عَلَىٰ هَدْيِهِ، وَمَعْرِفَةِ سُنَّتِهِ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ سِيرَتِهِ ﷺ.

**وَمِنْ ثَمَرَاتِ دِرَاسَةِ سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:**

* **تَحْقِيقُ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ** الَّتِي لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِهَا كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مُقْتَضَىٰ مَحَبَّتِهِ السَّيْرُ عَلَىٰ هُدَاهُ، وَهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالتَّعَرُّفِ عَلَىٰ سُنَّتِهِ وَأَعْمَالِهِ، كَمَا أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَىٰ مَا بَذَلَهُ الرَّسُولُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَمَا تَعَرَّضَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ لَهُ مِنَ الْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءَاتِ حَتَّىٰ أَظْهَرَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَنَارَ بِهِ دُرُوبَ الْهُدَىٰ لِلسَّالِكِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ وَإِدْرَاكَ فَضْلِهِ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ.

**وَمِنْ ثَمَرَاتِ دِرَاسَةِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ:**

*** الْوُقُوفُ عَلَىٰ تَطْبِيقِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ ﷺ** مِنْ خِلَالِ الْوُقُوفِ عَلَىٰ الْوَاقِعِ الْعَمَلِيِّ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالتَّعَرُّفِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَتَعَامُلِهِ ﷺ.

**كَذَلِكَ مِنْ ثَمَرَاتِ الدِّرَاسَةِ:**

*** زِيَادَةُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ** بِالِاطِّلَاعِ عَلَىٰ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ، وَمُعْجِزَاتِهِ ﷺ.

**وَكَذَلِكَ:**

*** تَتَعَرَّفُ عَلَىٰ مَنْهَجِ نَبِيِّكَ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ** جَلَّوَعَلَا؛ فَمِنْ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِمُخْتَلَفِ مَوَاقِفِهَا، وَصُوَرِهَا نَتَعَلَّمُ الْمَنْهَجَ الدَّعَوِيَّ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَيْفَ تَعَامَلَ مَعَ أَخْطَاءِ النَّاسِ، وَجَفَاءِ الْأَعْرَابِ، وَمَكَايِدِ الْأَعْدَاءِ، وَدَسَائِسِ الْمُنَافِقِينَ؛ فَقَدْ كَانَ رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ هَدَايَةِ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَكَانَ حَكِيمًا فِي مُعَالَجَةِ الْمُشْكِلَاتِ وَالْمَوَاقِفِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَكَانَ حَلِيمًا يَعْذُرُ الْجَاهِلَ حَتَّىٰ يَتَعَلَّمَ.

وَبِهَذَا الْمَنْهَجِ وَهَذِهِ الْأَخْلَاقِ اسْتَطَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِخْرَاجَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالتَّعَصُّبِ، وَالشَّتَاتِ وَالتَّفَرُّقِ، إِلَىٰ نُورِ الْإِسْلَامِ وَهِدَايَةِ الرَّحْمَنِ، وَالتَّرَقِّي فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ كَانَتْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وَالنَّاظِرُ فِي أَحْوَالِ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، وَمَا فِيهِ مِنْ قَسْوَةِ الطِّبَاعِ، وَقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ، وَالتَّعَلُّقِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَطَاعَةِ الْجَانِّ وَالْكُهَّانِ، وَتَقْدِيسِ التَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ، وَمَوْرُوثِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، النَّاظِرُ فِي أَحْوَالِهِمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ يَعْجَبُ كَيْفَ تَحَوَّلَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَتَبَدَّلَتْ طِبَاعُهُمْ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ، فَصَارَتْ أُمَّةً ذَاتَ عِلْمٍ وَحَضَارَةٍ وَأَخْلَاقٍ سَامِيَةٍ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ لِهِدَايَةِ الْخَلْقِ جَمِيعًا إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ.

لَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ مُمْتَثِلًا لِقَوْلِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: «أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ»؛ أَيْ: أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ أَخْطَائِهِمْ، وَمَا لَا يَنْبَغِي مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

فَالتَّعَرُّفُ عَلَىٰ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ سِيرَتِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَتَعَرَّفُ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعِبَادَةِ وَالسُّلُوكِ كَمَا تَعَرَّفَ عَلَىٰ مَنْهَجِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

**◉ وَمِنْ أَهَمِّ مَعَالِمِ الْمَنْهَجِ النَّبَوِيِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالسُّلُوكِ:**

إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَعَدَمُ تَحْمِيلِ النَّفْسِ مَا لَا تُطِيقَ.

وَالْحَثُّ عَلَىٰ لُزُومِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

www.menhaj-al.com

وَالْحَذَرُ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ.

وَأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا دَاوَمَ عَلَيْهِ؛ قَالَ ﷺ: «**خَيْرُ الْعَمَلِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَهَذَا مِنْ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعِبَادَةِ.

كَذَلِكَ كَثْرَةُ الذِّكْرِ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ الْأَذْكَارِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ كَأَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَالذِّكْرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ، وَالذِّكْرِ الْمُطْلَقِ، وَالذِّكْرِ فِي الْمُنَاسَبَاتِ: عِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ، وَعِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، وَفِي السَّفَرِ، وَعِنْدَ رُكُوبِ الدَّابَّةِ، إِلَىٰ آخِرِ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الِاسْتِغْفَارِ، وَالتَّوْبَةُ، وَاللُّجُوءُ إِلَىٰ اللهِ.

وَكَذَا الصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحُسْنُ الْمُعَاشَرَةِ لِلنَّاسِ وَلِأَهْلِهِ.

وَكَذَلِكَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، **وَالزَّاهِدُ**: هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الدُّنْيَا فِي يَدِهِ لَا فِي قَلْبِهِ، فَيُنْفِقُ مَا يُحَصِّلُهُ مِنْهَا فِي طَاعَةِ اللهِ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ النَّفَقَاتِ، وَفِي سَدِّ حَاجَةِ الْمُحْتَاجِينَ؛ فَإِنَّ هَذَا الْإِنْفَاقَ هُوَ الْبَاقِي لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يُحْسَبُ فِي رَصِيدِهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَدْ رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**».

قَالَتْ: مَا بَقِيَ إِلَّا ذِرَاعُهَا.

قَالَ: «**بَلْ بَقِيَتْ كُلُّهَا غَيْرَ ذِرَاعِهَا**»، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ فَهَذَا الْحَدِيثُ وَأَمْثَالُهُ يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ مَعْنَىٰ الزُّهْدِ، وَأَنَّهُ فِعْلٌ إِيجَابِيٌّ تِجَاهَ النَّفْسِ، لَيْسَ أَمْرًا سَلْبِيًّا كَمَا يَفْهَمُ الْبَعْضُ، أَوْ قُعُودًا عَنِ الْكَسْبِ وَالْعَمَلِ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

**وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ**: إِنَّ **الزُّهْدَ**: هُوَ تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، أَيْ: وَالْحِرْصُ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ فِي الْآخِرَةِ؛ **وَالْوَرَعَ**: هُوَ تَرْكُ مَا تَخْشَىٰ عُقُوبَتَهُ فِي الْآخِرَةِ، أَيْ: مِمَّا لَمْ تَتَّضِحْ حُرْمَتُهُ، لَكِنْ فِيهِ شُبْهَةٌ أَوْ فِي تَرْكِهِ صِيَانَةٌ لِلْعِرْضِ، أَمَّا الْمُحَرَّمُ فَمَنِ الْوَاجِبِ تَرْكُهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْوَرَعِ فَحَسْبُ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ؛ فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**».

فَالْوَرَعُ اسْتِبْرَاءٌ لِلدِّينِ وَالْعِرْضِ.

* **تَثْبِيتُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْلِيَتُهُمْ فِي سَبِيلِ مَا يَعْتَرِضُهُمْ** مِنْ مِحَنٍ وَابْتِلَاءَاتٍ فِي حَيَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ فِي سَبِيلِ تَطْبِيقِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي يَجْنِيهَا الدَّارِسُ لِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ؛ فَسِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ ﷺ مَلِيئَةٌ بِالدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

**وَمِنَ الثَّمَرَاتِ:**

* **الْوُقُوفُ عَلَىٰ مَا بَذَلَهُ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ** رضي الله عنهم مِنْ مُؤَازَرَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَنُصْرَةٍ لِدِينِ اللهِ، وَمَا قَدَّمُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ تَضْحِيَّاتٍ كَبِيرَةٍ بِصُورَةٍ لَمْ يَشْهَدْ لَهَا تَارِيخُ الْبَشَرِيَّةِ مَثِيلًا، وَهَذَا مَا جَعَلَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرَ الْقُرُونِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ؛ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»، وَهَذَا يَسْتَدْعِي مَحَبَّتَنَا لَهُمْ، وَالتَّرَضِّيَ عَنْهُمْ، وَالسَّيْرَ عَلَىٰ خُطَاهُمْ.

**وَكَذَلِكَ مِنْ ثَمَرَاتِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ:**

* **الْوُقُوفُ عَلَىٰ صُوَرٍ مِنَ الْإِيمَانِ الْحَيِّ عِنْدَمَا يُخَالِطُ قُلُوبَ الْبَشَرِ؛** فَيُحَوِّلُهُمْ إِلَىٰ أُنَاسٍ غَيْرِ عَادِيِّينَ فِي وُضُوحِ أَهْدَافِهِمْ، وَعُلُوِّ هِمَمِهِمْ، وَتَدَفُّقِ عَوَاطِفِهِمْ، وَسُمُوِّ غَايَاتِهِمْ، وَعَظِيمِ تَضْحِيَّاتِهِمْ.

وَهَذَا جَعَلَهُمْ -وَإِنْ مَشَوْا عَلَىٰ الْأَرْضِ- فِي اتِّصَالٍ مَعَ اللهِ وَالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ؛ فَمِنْهُمْ مَنِ اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ، وَشَارَكَ الْمَلَائِكَةُ فِي تَشْيِيعِ جَنَازَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ لِتَغْسِيلِهِ حِينَ مَاتَ، وَآخَرُ تَتَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ لِتَسْمَعَ تَرَنُّمَهُ بِالْقُرْآنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي لِأَجْلِهِ جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِيُبَلِّغَهُ السَّلَامَ مِنْ رَبِّهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا حِينَ خَالَطَ الْإِيمَانُ الْحَيُّ قُلُوبَهُمْ.

وَهَذَا بِدَوْرِهِ يُحَرِّكُ عَوَاطِفَ الْخَيْرِ فِي الْمُؤْمِنِ، وَيَزِيدُ إِيمَانَهُ إِيمَانًا، وَيَعْمَلُ عَمَلَهُ فِي قَلْبِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيَدْفَعُهُ إِلَىٰ طَرِيقِ الْإِيمَانِ.

* وَدِرَاسَةُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ خَيْرُ مُعِينٍ عَلَىٰ فَهْمِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خِلَالِ فَهْمِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِأَحْدَاثِ السِّيرَةِ وَوَقَائِعِهَا.

**وَكَذَلِكَ مِنْ ثَمَرَاتِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ:**

* بَيَانُ مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ مِنْ خِلَالِ الْوُقُوفِ عَلَىٰ تَعَامُلِهِ مَعَ غَيْرِهِ؛ ابْتِدَاءً بِتَعَامُلِهِ مَعَ رَبِّهِ، ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ تَعَامُلِهِ مَعَ سَائِرِ الْبَشَرِ مِنْ حَوْلِهِ مِنْ ذَوِي قُرْبَىٰ وَأَصْحَابٍ وَخَدَمٍ، بَلْ حَتَّىٰ مَعَ أَعْدَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ حِرْصِهِ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنْ تَعَامُلِهِ مَعَ الْحَيَوَانِ وَالرِّفْقِ بِهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلَهُ يَسْتَحِقُّ شَهَادَةَ اللهِ لَهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

* إِنَّ مَعْرِفَةَ سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا تَنْمِيَةٌ لِلْوَلَاءِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْبَرَاءِ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ.

فَفِي دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالِاطِّلَاعِ عَلَىٰ أَحْوَالِهِ الزَّكِيَّةِ، وَمَوَاقِفِهِ الْمُشْرِقَةِ ﷺ، وَأَحْوَالِ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فِي دِرَاسَتِهَا ثَمَرَةٌ عَظِيمَةٌ بِنُمُوِّ الْوَلَاءِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَزْدَادُ ذَلِكَ وَيَتَرَسَّخُ وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَكُلِّ أَعْدَاءِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ مَعَ الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ وَفْقَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

www.mennag-un.com

فَالْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ مِنْ أَعْظَمِ الْعَنَاصِرِ الَّتِي تُحَافِظُ عَلَىٰ هُوِيَّةِ الْأُمَّةِ وَتَمَيُّزِهَا، وَهُوَ حِصْنٌ قَوِيٌّ يَجِبُ الِاهْتِمَامُ بِهِ؛ حَتَّىٰ تَضْمَنَ الْأُمَّةُ اسْتِقْلَالَ شَخْصِيَّتِهَا وَتَمَيُّزَهَا.

وَالْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ مُؤَثِّرٌ فِي السُّلُوكِ، وَمُنْضَبِطٌ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَمُرْتَبِطٌ بِالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

**مِنْ ثَمَرَاتِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

* التَّعَرُّفُ عَلَىٰ آثَارِ الْجِهَادِ فِي تَحْرِيرِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، وَإِزَالَةِ الظُّلْمِ عَنْهَا، وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ، وَعِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عَدْلِ الْإِسْلَامِ وَرَحْمَتِهِ وَتَحْكِيمِ شَرْعِهِ الَّذِي ضَمِنَ لَهُمُ الْعَدْلَ وَتَحْقِيقَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَمُمَارَسَةَ الْإِنْسَانِ لِحُقُوقِهِ الطَّبِيعِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ كَمَا أَرَادَ لَهُ خَالِقُهُ؛ فَأُتِيحَتْ لَهُ الْحُرِّيَّةُ، وَأُزِيلَتْ مِنْ أَمَامِهِ الْعَوَائِقُ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنَ الِاخْتِيَارِ الصَّحِيحِ.

فَإِنَّ الْجِهَادَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَيْسَ لِإِجْبَارِ النَّاسِ عَلَىٰ اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِإِزَالَةِ الْمَوَانِعِ وَالْحَوَاجِزِ الَّتِي تَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَلَا تُتِيحُ الْحُرِّيَّةَ لِلنَّاسِ

لِيَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ بَعْدَ تَمَعُّنٍ وَتَأَمُّلٍ فِي دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمُ النَّمُوذَجَ الْمِثَالِيَّ الْمُطَبَّقَ فِي الْوَاقِعِ بِكُلِّ نَظَافَتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَاسْتِقَامَتِهِ؛ فَلَا يَكْتَفُونَ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ مُثُلٍ وَنَظَرِيَّاتٍ جَمِيلَةٍ غَيْرِ مُطَبَّقَةٍ فِي الْوَاقِعِ، وَإِنَّمَا يَدْعُوهُمْ لِأَمْرٍ بَيِّنٍ يُشَاهِدُونَ تَطْبِيقَهُ فِي الْوَاقِعِ.

إِنَّهَا فُتُوحَاتٌ لِتَمْكِينِ النَّاسِ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَاقِعًا مُعَاشًا، وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ ذَاتَ طَبِيعَةٍ مُسْتَقِرَّةٍ؛ لِأَنَّهَا مُطَابِقَةٌ لِلْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَيْهَا؛ فَاسْتَقْبَلَتْهَا النُّفُوسُ السَّلِيمَةُ بِكُلِّ تَرْحَابٍ وَقَبِلَتْهَا؛ فَالْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَجِهَادُ النَّبِيِّ ﷺ إِنْقَاذٌ لِلْبَشَرِيَّةِ مِنْ ظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْمُحَرَّفَةِ إِلَىٰ رَحْمَةِ الْإِسْلَامِ وَعَدْلِهِ، وَسَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ كَمَا قَالَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ أَمَامَ رُسْتُمَ: «إِنَّ اللهَ ابْتَعَثَنَا؛ لِنُخْرِجَ الْعِبَادَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَىٰ عَدْلِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

**مِنْ ثَمَرَاتِ الدِّرَاسَةِ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

* التَّعَرُّفُ عَلَىٰ مَوْقِفِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ النِّفَاقِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَكَيْفَ تَجَاوَزَ مَكَائِدَهُمُ الْكَثِيرَةَ حَتَّىٰ فَضَحَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَعَرَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسِيمَاهُمْ وَلَحْنِ قَوْلِهِمْ، بَلْ عَرَّفَهُ اللهُ أَسْمَاءَهُمْ؛ فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ حِذْرَهُمْ مِنْهُمْ رَغْمَ مَا أَصَابَ بَعْضَهُمْ مِنْ آثَارِ دَسَائِسِهِمْ.

بَلْ حَتَّىٰ الرَّسُولُ ﷺ وَصَلَهُ أَذَىٰ الْمُنَافِقِينَ فِي أَهْلِهِ عِنْدَمَا جَاءَ عُصْبَةٌ مِنْهُمْ بِالْإِفْكِ، لَكِنْ جَعَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ خَيْرًا، وَرَفَعَ دَرَجَةَ مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِهِمْ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ﴾ [النور: ١١].

وَهَذَا فِيهِ دَرْسٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَرِّ الْأَزْمَانِ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ، وَيَحْتَاطُوا فِي أَمْرِهِمْ، وَلَا يَقَعُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَبَائِلِ الْمُنَافِقِينَ وَدَعْوَاهُمُ الَّتِي يُزَخْرِفُونَهَا، وَيُظْهِرُونَ مِنْهَا إِرَادَةَ الْإِصْلَاحِ وَهُمْ فِي وَاقِعِ أَمْرِهِمْ مُفْسِدُونَ مُخَادِعُونَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِهِمْ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

**فَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ النَّظَرِ فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:** بَيَانُ مَوْقِفِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النِّفَاقِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَمَكَائِدِهِمْ.

**وَمِنَ الثَّمَرَاتِ الْمُهِمَّةِ:**

* التَّعَرُّفُ عَلَىٰ مَوَاقِفِ الْيَهُودِ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ فَقَدْ عَامَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قُرْبٍ وَعَقَدَ مَعَهُمْ مُعَاهَدَاتٍ وَمَوَاثِيقَ وَلَكِنَّهُمْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ طَبْعُهُمْ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ شِقْوَتُهُمْ؛ فَنَقَضُوا الْعَهْدَ مَعَهُ قَبِيلَةً تِلْوَ أُخْرَىٰ، وَحَاقَ بِهِمْ

نَتِيجَةُ غَدْرِهِمْ، وَمَكَّنَ اللهُ رَسُولَهُ مِنْهُمْ؛ فَأَجْلَىٰ بَعْضَهُمْ، وَقَتَلَ بَعْضَهُمْ؛ جَزَاءَ غَدْرِهِمْ وَخِيَانَتِهِمُ الْعُظْمَىٰ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ وَالْمُوَاجَهَةِ مَعَ الْأَحْزَابِ الْكَافِرَةِ؛ فَكَانَ ذَلِكَ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ وَقَضَاءَهُ الْعَادِلَ لِشَنَاعَةِ فِعْلِهِمْ وَمَكْرِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ.

فَأَيْنَ الْمُعْتَبِرُونَ؟! وَكَيْفَ يُوثَقُ فِي يَهُودَ وَهَذَا تَارِيخُهُمْ، وَقَدْ عَرَّفَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ مَعَ رُسُلِهِمْ مِثْلَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْغَادِرَةِ وَالطُّرُقِ الْمُلْتَوِيَةِ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]

وَالْمُطَّلِعُ عَلَىٰ سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَيْرِ دَعْوَتِهِ يُلَاحِظُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ شِدَّةَ الضُّغُوطِ الَّتِي وَاجَهَهَا الرَّسُولُ ﷺ، ثُمَّ يَرَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ انْتِقَالَهَا مِنْ نَصْرٍ إِلَىٰ نَصْرٍ، وَازْدِيَادَ أَتْبَاعِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ مِنَ النُّزَّاعِ مِنَ الْقَبَائِلِ رَغْمَ الْأَذَىٰ الشَّدِيدِ وَالْمُوَاجَهَةِ الْقَوِيَّةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَتَنْوِيعِهِمُ الْأَسَالِيبَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ وَأَهْلِهَا.

وَيُدْرِكُ بِكُلِّ يَقِينٍ عِنَايَةَ اللهِ، وَتَوْفِيقَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرَهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَهَذَا مِمَّا يُقَوِّي الثِّقَةَ فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكُلِّ زَمَانٍ؛ بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ، وَالتَّمْكِينَ سَيَكُونُ لِدِينِهِمْ وَحَمَلَتِهِ؛ فَيَجِدُّوا وَيَجْتَهِدُوا وَيَثْبُتُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمُ النَّصْرُ.

وَمَا يَرَوْنَهُ مِنْ ظُهُورِ الْكُفَّارِ وَسَيْطَرَتِهِمْ فِي فَتْرَةٍ مِنْ فَتَرَاتِ الزَّمَانِ لَنْ يَكُونَ وَضْعًا دَائِمًا، بَلْ سَيَزُولُ وَيَظْهَرُ أَهْلُ الْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَوَامِلِ عَلَىٰ مُحَارَبَةِ الْيَأْسِ، وَالْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ الشَّرْعِيِّ عَلَىٰ حَسَبِ الْمَقْدِرَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ وَالِاجْتِهَادِ فِي ذَلِكَ وَمُغَالَبَةِ الْكُفَّارِ حَتَّىٰ يَمْتَلِكَ الْمُسْلِمُونَ زِمَامَ الْقُوَّةِ وَعُدَّةَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنَ اللهِ، وَلَهُ شُرُوطٌ وَمُسْتَلْزَمَاتٌ لَا بُدَّ مِنَ التَّحَقُّقِ بِهَا؛ حَتَّىٰ يَأْتِيَ نَصْرُ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

فَشَرْطُ التَّمْكِينِ وَالِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ وَحُصُولِ الْأَمْنِ وَانْتِفَاءِ الْخَوْفِ هُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَذْكُورُ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

**مِنْ ثَمَرَاتِ الِاطِّلَاعِ عَلَىٰ سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:**

* التَّمَسُّكُ بِالدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ مَا يُلَاقِي الْمَرْءُ فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَدْ لَاقَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صُنُوفًا مِنَ الْأَذَىٰ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَإِبْلَاغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ.

فَقَدِ اتَّهَمَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي عَقْلِهِ، وَفِي سُلُوكِهِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعْدَاؤُهُ يَعْرِفُونَ بَرَاءَتَهُ، لَكِنَّ الْخُصُومَةَ وَالْمُغَالَبَةَ وَالِاعْتِدَاءَ وَصَلَ بِهِمْ إِلَىٰ هَذَا الْمَدَىٰ؛ فَقَالُوا عَنْهُ ﷺ إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَشَاعِرٌ، وَسَاحِرٌ، وَكَاهِنٌ، وَقَالُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ وَالْهُدَىٰ: أَسَاطِيرُ ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ

وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥]، وَقَالُوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ﴾ [النحل: ١٠٣]، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ كَذِبَهُمْ؛ فَقَالَ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]؛ لِأَنَّهُمُ ادَّعَوْا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَأْتِي بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ كَانَ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُوَ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا الْقُرْآنُ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ؛ فَكَيْفَ يَتَّفِقُ أَنْ يَأْتِيَ الْأَعْجَمِيُّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ؟! إِنَّ هَذَا مُحَالٌ، وَلَكِنْ كَمَا قِيلَ: الْخُصُومَةُ حِجَابٌ سَاتِرٌ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ.

لَقَدْ وَاجَهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّ أَنْوَاعِ الْأَذَىٰ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ بِالصَّبْرِ وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم صَبَرُوا عَلَىٰ مَا لَا يُصْبَرُ عَلَيْهِ عَادَةً، مَعَ أَنَّهُمْ عَرَبٌ، وَعَاشُوا فِي بِيئَةٍ تَتَّصِفُ بِسُرْعَةِ الِانْتِقَامِ وَالْغَضَبِ، وَتُقَدِّسُ الثَّأْرَ، وَحُرُوبُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ غَالِبُهَا كَانَ لِأَسْبَابٍ تَافِهَةٍ كَحَرْبِ الْبَسُوسِ وَحَرْبِ دَاحِسٍ وَالْغَبْرَاءِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا حَوَّلَهُمُ اتِّبَاعُهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الشَّرِيفِ إِلَىٰ هَذَا النَّمَطِ الْعَالِي، وَالْمَثَلِ الَّذِي يُحْتَذَىٰ، وَإِلَىٰ الْقُدْوَةِ الَّتِي يُتَأَسَّىٰ بِهَا -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-، وَفِيهِمْ أُسْوَةٌ، وَفِي الرَّسُولِ ﷺ الْأُسْوَةُ الْكُبْرَىٰ.

فَإِذَنْ؛ النَّظَرُ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَحْمِلُ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يُلَاقِي الْمَرْءُ فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

www.menhag-un.com

## النِّطَاقُ الزَّمَنِيُّ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الْبِعْثَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ هِيَ خَاتِمَةُ الرِّسَالَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

رِسَالَتُهُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا أَنَّ شَرِيعَتَهُ نَاسِخَةٌ لِجَمِيعِ شَرَائِعِ الرُّسُلِ؛ فَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَ شَرِيعَتِهِ ﷺ، وَهِيَ تَأْتِي حَسَبَ التَّسَلْسُلِ التَّارِيخِيِّ آخِرَ النُّبُوَّاتِ.

**وَالسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي نِطَاقِهَا الزَّمَانِيِّ**: هِيَ مِنْ وِلَادَتِهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ حَتَّىٰ وَفَاتِهِ فِي الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

**جُمْلَتُهَا**: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً قَمَرِيَّةً، **وَيُوَافِقُهَا فِي التَّارِيخِ الْمِيلَادِيِّ**: مِنَ الْعَامِ الْحَادِي وَالسَّبْعِينَ بَعْدَ الْخَمْسِ مِئَةٍ إِلَىٰ الثَّانِي وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ السِّتِّ مِئَةٍ مِنْ مِيلَادِ الْمَسِيحِ عليه السلام.

وَالنُّبُوَّاتُ جَمِيعًا تُمَثِّلُ وِحْدَةً تَارِيخِيَّةً ذَاتَ حَلْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَهَا سِمَاتٌ مُشْتَرَكَةٌ.

وَالتَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ بِهَذَا الْمَفْهُومِ لَيْسَتْ بِدَايَتُهُ مِنْ بَعْثَةِ الْمَعْصُومِ ﷺ كَمَا قَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ، إِنَّمَا بِدَايَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ مِنْ هُبُوطِ آدَمَ وَحَوَّاءَ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَرْضِ

مُسْلِمَيْنِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ عليه السلام نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي «الْمِشْكَاةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَاسْتَمَرَّتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ عَشْرَةَ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ كَمَا ثَبَتَ بِذَلِكَ الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

ثُمَّ لَمَّا وَقَعَ الِانْحِرَافُ فِي التَّوْحِيدِ وَظَهَرَ الشِّرْكُ فِي الْبَشَرِيَّةِ بَعَثَ اللهُ نُوحًا عليه السلام؛ لِيُجَدِّدَ مَعَالِمَ التَّوْحِيدِ وَيُعِيدَ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْحَقِّ.

ثُمَّ تَتَابَعَتِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ يَدْعُونَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

فَأَصْلُ الدِّينِ وَاحِدٌ، هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، أَمَّا الشَّرَائِعُ فَهِيَ مُتَنَوِّعَةٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَنَا أَوْلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ**»؛ أَيْ: لَيْسَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِيسَىٰ عليه السلام لَيْسَ بَيْنَهُمَا نَبِيٌّ، الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ».

وَمُنْذُ وُقُوعِ الشِّرْكِ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ نُوحٌ عليه السلام انْقَسَمَتِ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الْعَقِيدَةُ إِلَىٰ أُمَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ: أُمَّةٍ مُسْلِمَةٍ مُوَحِّدَةٍ، وَأُمَّةٍ كَافِرَةٍ مُشْرِكَةٍ، وَكُلُّ الَّذِينَ صَدَّقُوا الرُّسُلَ وَاتَّبَعُوهُمْ مِنْ آدَمَ عليه السلام إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَيُمَثِّلُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بُلْدَانُهُمْ وَلُغَاتُهُمْ، وَتَبَاعَدَتْ أَزْمَانُهُمْ وَاخْتَلَفَتْ

شَرَائِعُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ أُمَّةُ التَّوْحِيدِ، وَحِزْبُ الرَّحْمَنِ، وَأَهْلُ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ.

أَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فَهُمْ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، وَهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَوْطَانُهُمْ، وَمَذَاهِبُهُمْ، وَأَزْمَانُهُمْ؛ فَإِنَّ السِّمَةَ الْجَامِعَةَ لَهُمْ هِيَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ غَيْرِ اللهِ.

وَهَذَا الْمَفْهُومُ يُوَضِّحُ مَنْزِلَةَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَإِنْ كَانَ نِطَاقُهَا الزَّمَنِيُّ مَحْدُودًا بِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْوِلَادَةِ حَتَّىٰ الْوَفَاةِ؛ فَهِيَ امْتِدَادٌ لِسِيَرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَاسْتِمْرَارٌ لِتَارِيخِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَهَذَا هُوَ النِّطَاقُ الزَّمَانِيُّ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

www.menhag-un.com

## النِّطَاقُ الْمَكَانِيُّ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

**وَأَمَّا النِّطَاقُ الْمَكَانِيُّ لِلسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ:** فَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَكَّةَ بَلَدِ اللهِ الْحَرَامِ، وَفِيهَا بَيْتُهُ الْمُعَظَّمُ الَّذِي رَفَعَ قَوَاعِدَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ جَدُّ الْعَرَبِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَهْلِهَا؛ أَيْ: مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَدْ وُلِدَ وَنَشَأَ فِيهَا، وَمَكَّةُ يَوْمَئِذٍ حَاضِرَةُ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَىٰ، وَلَهَا مَكَانَةٌ دِينِيَّةٌ عِنْدَهُمْ؛ حَيْثُ يَحُجُّونَ إِلَيْهَا كُلَّ عَامٍ.

ثُمَّ هَاجَرَ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنَ الْبِعْثَةِ، وَفِيهَا أَسَّسَ بِنَاءَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ، وَابْتَدَأَ الْجِهَادَ حَتَّىٰ فَتَحَ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، ثُمَّ أَتَتْهُ الْوُفُودُ مُسْلِمَةً مُسْتَسْلِمَةً فِي الْعَامِ التَّاسِعِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَنْتَقِلْ إِلَىٰ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ حَتَّىٰ كَانَتِ الْجَزِيرَةُ كُلُّهَا خَاضِعَةً لِسُلْطَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَهْلُهَا إِمَّا مُسْلِمُونَ، وَإِمَّا مُعَاهَدُونَ مُسَالِمُونَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ بِكَامِلِهَا فِي وِحْدَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وِحْدَةٍ فِكْرِيَّةٍ عَقَدِيَّةٍ، وَوِحْدَةٍ سِيَاسِيَّةٍ جُغْرَافِيَّةٍ، وَوِحْدَةٍ عَلَىٰ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَدِينِ التَّوْحِيدِ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ طُولَ تَارِيخِهَا إِمَارَاتٍ وَدُوَلًا مُتَفَرِّقَةً؛ فَفِي الْيَمَنِ كَانَتْ دَوْلَةُ مَعِينٍ، ثُمَّ دَوْلَةُ سَبَأٍ، ثُمَّ حِمْيَرٍ، ثُمَّ اسْتَعْمَرَهَا الْأَحْبَاشُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا الْفُرْسُ وَصَارَتِ الْوِلَايَةُ فِي أَبْنَائِهِمْ.

وَفِي شَمَالِ الْجَزِيرَةِ كَانَتْ فِي وَقْتِ الْبِعْثَةِ إِمَارَةُ الْحِيرَةِ، وَكَانَتْ خَاضِعَةً لِلْفُرْسِ، وَالْغَسَاسِنَةِ وَكَانُوا خَاضِعِينَ لِلرُّومِ.

أَمَّا الْحِجَازُ فَتَوَلَّىٰ أَمْرَهَا إِسْمَاعِيلُ بَعْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ -أَيْ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ-، ثُمَّ تَوَلَّاهَا أَوْلَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ جَدُّ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ مُضَادُ بْنُ عَمْرٍو الْجُرْهُمِيُّ، وَطَالَتْ وِلَايَةُ جُرْهُمٍ لِلْبَيْتِ حَوَالَيْ عِشْرِينَ قَرْنًا، ثُمَّ نَزَعَتْهَا مِنْهُمْ خُزَاعَةُ فَحَكَمَتْهَا ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ حَتَّىٰ انْتَزَعَهَا قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، وَجَمَعَ قُرَيْشًا فِي مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَذَلِكَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّ.

فَالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، هِيَ النِّطَاقُ الْمَكَانِيُّ لِحَرَكَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَبَعْدَ وَفَاتِهِ حَدَثَتْ رِدَّةٌ فِي الْأَطْرَافِ وَالْقُرَىٰ، وَلَكِنْ تَمَكَّنَ أَصْحَابُهُ الْكِرَامُ بِقِيَادَةِ خَلِيفَتِهِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ تَمَكَّنُوا مِنْ قَمْعِ الْمُرْتَدِّينَ، وَإِعَادَتِهِمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ فِي أَقَلَّ مِنْ عَامٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ انْطَلَقُوا بِالدَّعْوَةِ وَالْفُتُوحَاتِ إِلَىٰ مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا حَتَّىٰ دَانُوا بِالْإِسْلَامِ وَخَضَعُوا لِشَرِيعَتِهِ، وَأَحْكَامِهِ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سَيْرِ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ فِي انْطِلَاقَتِهَا طَوَالَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ مِنَ الْهِجْرَةِ فَوَصَلُوا إِلَىٰ حُدُودِ الصِّينِ شَرْقًا، وَإِلَىٰ الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ وَحُدُودِ فَرَنْسَا غَرْبًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

فَهَذَا هُوَ النِّطَاقُ الْمَكَانِيُّ لِسِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَالْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ بِكَامِلِهَا مَجَالٌ لِنَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَهْلُهَا مَدْعُوُّونَ جَمِيعًا لِلدُّخُولِ فِي الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي ارْتَضَاهُ تَعَالَىٰ دِينًا لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَدْ رَاسَلَ النَّبِيُّ ﷺ مُلُوكَ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ تَنْفِيذًا لِعَالَمِيَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فَالرِّسَالَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ رِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ لِكُلِّ الْأَجْنَاسِ الْبَشَرِيَّةِ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا نِطَاقٌ مَكَانِيٌّ لِحَرَكَةِ الدَّعْوَةِ عَلَىٰ أَيْدِي أَتْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ مُخْتَلَفِ أَجْنَاسِهِمْ وَأَزْمَانِهِمْ مَدْعُوُّونَ لِلدُّخُولِ فِي دِينِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، هُوَ رَحْمَةٌ لَهُمْ، وَمُنْقِذٌ لَهُمْ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْخُرَافَاتِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالظُّلْمِ وَالْجوْرِ؛ لِتُشْرِقَ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَلِتُحْفَظَ لَهُمُ الْإِنْسَانِيَّةُ الصَّادِقَةُ، وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ الَّتِي فَطَرَ اللهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**».

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com